وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

قسم اللغة العربية وآدابها

السنة الأولى نظام جديد(ل م ي)

مـــــــقياس

فقه اللغة

الأستاذ بن عبد الله واسيني

المحاضرة الأولى: تقديم مفردات مادة فقه الله للسداسي الثاني وقائمة المصادر والمراجع والحديث عن أهمية اللغة

بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

السلام عليكم ورحمة الله، أما بعد

فهذه محاضرات في فقه اللغة حسب المقرّر لهذا المقياس، للسنة الأولى بجامعة المسيلة. حاولت الاقتصار على ما هو مفيد بأسلوب مبسط.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أننا اعتمدنا عددا من المراجع والمصادر، وكان لبعضها النصيب الأوفر ، وإذا كنا لا نشير دائما إلى المرجع حتى لا نثقل المحاضرة (لأن طبيعة المحاضرة تختلف عن طبيعة تأليف الكتاب). ومنها كتابا الدكتور حلمي خليل حول المولّد والمعاجم.

وننصحكم بالرجوع إلى هذه الكتب بالإضافة إلى المراجع الأخرى المذكورة في قائمة المصادر والمراجع.

نتمنى لكم التوفيق. وإليكم المفردات وبعدها قائمة المصادر والمراجع

مدخل:

فقه اللغة (نشأة المصطلح، مفهومه) الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة

نظريات نشأة اللغة الإنسانية:المحاكاة. التواضع والاصطلاح.الالهام...

اللغة العربية واللغات السامية.اللغة العربية ولهجاتها.

علاقة اللفظ باللفظ :

1-العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها

2- النبر في اللغة العربية

3- الأبنية والأوزان

علاقة اللفظ بالمعنى :

1-الترادف (أسبابه. اختلاف الدارسين حول وجوده

2-المشترك اللفظي

3-التضاد

علاقة اللفظ بالاستعمال:

1-الاشتقاق(مفهومه، أنواعه، العام، الكبير الأكبر، الكبار"النحت

2-الدخيل

3-المعرب

4-المولد في اللغة ،

5-الإعراب وبناء الكلمة في العربية

قائمة المصادر والمراجع:

1 - الأضداد، أبو حاتم السجستاني (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) نشر أوغست هفنر، بيروت 1913م.

2 - الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي. تحقيق/ د.عزة حسن، دمشق 1382هـ-1963م.

3 - البرهان في علوم القرآن (1-4)، بدر الدين الزركشي محمد بن عبد الله. تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 1 1376هـ-1957م.

4 - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. تحقيق/ السيد أحمد صقر، القاهرة، ط2 1393هـ-1973م.

5 - تصحيح الفصيح، لابن درستويه، عبد الله بن جعفر. تحقيق/ عبد الله الجبوري، بغداد 1975م الجزء الأول.

6 - التطور اللغوي التاريخي، د.إبراهيم السامرائي، القاهرة 1966م (معهد الدراسات العربية العليا).

7 - جمهرة اللغة (1-4)، لابن دريد محمد بن الحسن الأزدي. تحقيق/ كرنكو، حيدر آباد الدكن بالهند 1344هـ-1351هـ.

8 - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس. تحقيق/ السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1977م.

9 - علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1 - 1402هـ-.

10 -فصول في فقه العربية، د.رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1408هـ-1987م.

11 -فقه اللغة العربية، د. كَاصد الزيدي، منشورات جامعة الموصل 1407هـ-1987م.

12 -فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط5، 1392هـ-1972م.

13 -مجاز القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، الناشر محمد سامي الخانجي، القاهرة، ط1

14 -المخصص (1-5)، ابن سيده الأندلسي، علي بن إسماعيل، بولاق 1316-1321هـ.

15 -المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1-2)، السيوطي. تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم وآخرين، دار الفكر، القاهرة 1958م.

16 -معاني القرآن (1-3)، للفراء، يحيى بن زياد، ج1، دار الكتب العربية القاهرة (د.ت). تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي 1374هـ، ج2. تحقيق/ محمد علي النجار، ج3. تحقيق/ د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة 1972م.

17 -معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري. تحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت - ط1 1408هـ-1988م

مكتبة المصطفى
موقع الوراق
مكتبة مشكاة الإسلام
الجمعية العلمية السعودية
للغة العربية
الألوكة
الإيوان
صوت العربية
شبكة الفصيح
منتديات الكتب المصورة

مدخل إلى أهمية اللغة:

قد لا تبدو أهمية اللغة ودراسة علومها في مستواها الحقيقي عند مقارنتها بالعلوم الأخرى لاسيما العلوم الدقيقة والتكنولوجية وغيرها، وربما ينعكس ذلك على الاهتمام بدراسة اللغة مما يؤدي إلى عدم إعطائها القدر الكافي من الاهتمام،لكن لو حللنا المسألة بعمق وموضوعية لتبين لنا أن اللغة ،أي لغة، هي عصب العلوم في جميع فروعها، بل هي أداة الحياة والحضارة والتقدم . ويمكننا القول أن الإنسان بتميز عن غيره من المخلوقات بفضل نعمة اللغة التي منحها إيّاه الباري سبحانه، ويمكن الرجوع في هذا إلى الكثير مما سجله الباحثون ورجال الفكر.

فاللغة أعظم ميزة للإنسان، قال تعالى :(**خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانُ**) ففي هذه الآية نلاحظ العلاقة بين خلق الإنسان وتعليمه البيان أي الكلام بلسان مبين مختلف عن وسائل الاتصال، أو ما يسمى بلغة الطيور والحيوانات وغيرها، فالمخلوق الوحيد الذي يمتلك مثل هذا اللسان وهذه الأداة هو الإنسان ؛ ولذا فكل ما يتعلق بالإنسان وتفاعله مع هذا الكون يستند أصلا إلى اللغة ومن هنا كانت اللغة جديرة بالاهتمام والبحث والدراسة للاست فادة من مزاياها وإمكاناتها إلى أقصى حد.

والتفصيل في هذا الموضوع قد يطول، ولكن يمكن نا أن نقول أن اللغة هي وسيلة من الوسائل الحيوية الأربعة التي لولاها ما استطاع الإنسان أن يستمر في هذه الحياة، ولكن على الترتيب في الأهمية. بدءا **بالهواء** الذي لا يمكن للإنسان العيش بدونه دقائق معدودة ، ولذلك و فرته العناية الإلهية بصورة غير محدودة ، بل هو الذي لا يسعى الإنسان إليه. ويأتي بعد ذلك وفي المرتبة الثانية **المـــاء**؛ إذ لا يستطيع الإنسان الصبر على فقدانه إلا لأيام معدودة، ولذلك توفر في الحياة ولكن ببعض السعي والجهد من بحث أو سفر أو رحلة أو غير ذلك. ثم يأتي في المرتبة الثالثة **الغذاء**، وهو من الضرورات التي لابد منها لاستمرار الحياة، ولكن يمكن الصبر على فقدانه لفترة أطول، لذلك كانت الحكمة الإلهية توفره إنما بصورة أقل وتحتاج إلى فترة أطول من السعي والطلب.

وأخيرا تأتي **اللغة** والتي قد تعيش البشرية بدونها فترات طويلة نسبيا، ولكن لولاها لما استطاعت أن تتقدم وتزدهر وتُبْنى وتُعَمَّر، وبالتالي كانت عوامل الطبيعة قد عدّتْ عليها فانقرض الإنسان، وانقرضت الحياة، إذ أننا لا يمكن أن نتصور هذا التقدم العلمي الصاعد لو كان الإنسان دون لغة.

المحاضرة الثانية: فقه اللغة (مفهومه، نشأته، الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة)

أولا. مفهوم مصطلح فقه اللغة:

أ- تعريف مصطلح فقه اللغة باعتبار مُفردَيه:

1-تعريف كلمة (فقه): الفقه هو العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة فيه. يقال: فَقُه الرجل فَقَاهَةً إذا صار فقيهاً، وفَقِه: أي فهم فقهاً(1). وبعض العلماء يرى أن الفقه أخص من العلم، قال الراغب الأصفهاني:"الفقه هو التوصل إلى علمٍ غائبٍ بعلم شاهد؛ فهو أخص من العلم"[2].

وقد وردت مادة (فقه) في القرآن الكريم عشرين مرة تحمل المعاني السابقة، فمن ذلك قوله تعالى: (فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً).وقوله عز وجل: (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ) وقوله تعال:(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).

وورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله:"من أراد الله به خيرا فقّهه في الدين"

ومن هنا يتبين لنا وجود مطابقة من الناحية اللغوية بين الفقه والعلم، و بهذا أخذ عدد من العلماء والباحثين اللغويين، فلم يفرقوا بين العِلمين، وإنما جعلوا (فقه اللغة وعلم اللغة) مصطلحين لمفهوم واحد أو علم واحد.

وقد غلب استعمال (الفقه) على علوم الدين؛ لشرفها، وذلك من باب تخصيص الدلالة، ولكنه يستعمل في غير علوم الدين بقرينة.

2-تعريف كلمة(لغة):اللغة مشتقة من لغا يلغو:إذا تكلّم؛فمعناها الكلام؛ فهذا تعريفها في اللغة[3].

أما في الاصطلاح فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره ابن جني في كتابه (الخصائص) حيث قال: " حدّ اللغة أصوات يعبِّر بها كل قومٍ عن أغراضهم "[4]. وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم، وهو يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة؛ حيث ترى تلك التعريفات أن اللغة:

أ_أصوات منطوقة. **ب _وأن وظيفتها التعبير عن الأغراض.**

ج_وأنها تعيش بين قوم يتفاهمون بها. **د _ وأن لكل قوم لغة.**

فهذه هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرّفها، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة للغة تتوسع، فتدخل في اللغة كل وسيلةٍ تفاهمٍ، ولا تق صر على الأصوات، فتجعل فيها الإشارات، وتعبيرات الوجه، ودقات الطبول وغيرها؛ فالأشهر هو حصر اللغة في الأصوات؛ لأن غيرها من الوسائل محدودة .

1_ انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص40.

2_ المفردات في غريب القرآن ص40.

3_ انظر لسان العرب 251/15.

4_ الخصائص 87/1

وعرّفها ابن الحاجب بأنها:"كل لفظ وضع لمعنى"[1]. ويراها بعض المحدثين:"أنها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تُختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين" [2]. ويراها آخر بأنها:"معنى موضوع في صوت"[3].

ب ــ تعريف مصطلح فقه اللغة باعتبار تركيبه: يُعرف تعريفاً لغوياً، وتعريفاً اصطلاحياً.

1- تعريفه لغةً(4): فقه اللغة من الناحية اللغوية هو: فهم اللغة، والعلم بها، وإدراك كنهها.

2- تعريفه في الاصطلاح : يطلق فقه اللغة في الاصطلاح على العلم الذي يُعنى بدراسة قضايا اللغة؛ من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها، وفي خصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات، وما ينشأ من لهجات ؛ فيبحث في المعجمات والمفردات من حيث المعنى والأصالة والاشتقاق والنحت والنحت والترادف وغيرها. كما يبحث في وظيفة اللّغة وأصلها ومصادرها، وما يثار حول العربية من قضايا، وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك ... ويمكن أن يعرف تعريفاً موجزاً، فيقال:" **هو العلم الذي يعنى بفهم اللغة، ودراسة قضاياها، وموضوعاتها** ". نشير إلى أن هناك تسميات أخرى لهذا العلم؛ مثل (الفلسفة اللغوية) عند جرجي زيدان و(الألسنية) عند مرمرجي الدومينيكي و(اللسانيات) عند عبد الرحمان الحاج صالح، و(علم اللغة) عند محمود السعران...

ثانيا.نشأة مصطلح فقه اللغة:

مصطلح فقه اللغة قديم عند العرب عرفته الدراسات اللغوية منذ وقت مبكر ويمكن القول إن رسائل الأصمعي(ت215 هـــ) في الاشتقاق هي أقدم نتاج وصلنا من هذه الدراسات،ثم جاء بعده ابن جني(ت392 هـــ) الذي ألّف كتاب الخصائص وضمنه الكثير من البحوث اللغوية، ويؤلف ابن فارس (ت395 هـــ) كتابه الموسوم بـ(الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها) ضمنه كثيرا من مسائل فقه اللغة العربية،ثم وضع كتابا آخر عنوانه (مقاييس اللغة) ناقش فيه موضوعين يعدان من صميم فقه اللغة هما الأصول والنحت، ويضع أبو منصور الثعالبي(ت429هـــ) كتابه الموسوم ب(فقه اللغة وسر العربية) ضمنه مباحث تتعلق بفقه اللغة ، وينشئ ابن سيده(ت458 هـــ)كتابه المخصص وفيه عرض لبعض المباحث المتعلقة بنش أة اللغة العربية وبعض الظواهر اللغوية ،ويعد كتاب السيوطي (ت211هـــ)الموسوم بـ(المزهر في علوم اللغة وانواعها) من أغنى الكتب المتقدمة مادة ومضمونا؛ إذ ضمنه مباحث تتعلق بفقه اللغة مثل البحث في نشأة اللغات وتداخلها والفصيح والمصنوع والمستعمل والمهمل والحوشي والغريب والمعرب والمولّد والاشتقاق والترادف والمشترك والتضاد...

أما المحدثون من العرب فلهم جهود قيِّمة في التأليف في موضوعات فقه اللغة نذكر منهم:

الدكتور إبراهيم أنيس، ومن أشهر مؤلفاته الأصوات اللغوية، ومن أسرار اللغة، وفي اللهجات العربية. والدكتور إبراهيم السامرائي ومن أشهر مؤلفاته: دراسات في اللغة، التطور اللغوي التاريخي، مباحث لغوية. والدكتور أحمد مختار عمر، ومن أشهر مؤلفاته: دراسة الصوت اللغوي، علم الدلالة، البحث اللغوي عند العرب . والدكتور تمّام

1ــ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لأبي الثناء الأصفهاني 150/1.

2ــ علم اللغة د. حاتم الضامن ص32.

3ــ علم الدلالة لأحمد مختار ص5 وانظر الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية د. هادي الشجيري ص 56ــ77.

4ــ ينظر:في مقدمة فقه اللغة،محمد أحمد أبو الفرج، ص12ــ24، وفقه اللغة العربية وخصائصها،إميل يعقوب ص28ــ36.

حسّان، ومن أشهر مؤلفاته مناهج البحث في اللغة،اللغة العربية معناها ومبناها . والدكتور حاتم الضامن ، ومن أشهر كتبه فقه اللغة ، علم اللغة. والدكتور رمضان عبد التواب ومن أشهر مؤلفاته التطور اللغوي وقوانينه، فصول في فقه اللغة العربية،لحن العامة والتطور اللغوي. والدكتور علي عبد الواحد وافي، ومن أشهر كتبه فقه اللغة وعلم اللغة. والدكتور كمال بشر ومن كتبه قضايا لغوية، دراسات في علم اللغة...

ثالثا.موضوعات فقه اللغة:

فقه اللغة هو ذلك العلم الذي يُدْرَس، ويتناول موضوعات مُعيَّنة سبق الحديث عن بعضها. وفيما يلي ذكر لموضوعات فقه اللغة بشيء من الإيضاح المجمل.

1-القول في أصل اللغة، والخلاف في ذلك. 2-خصائص اللغة العربية، وما تنطوي عليه من أسرار وجمال.

3-معرفة سنن العرب في كلامهم، وأساليبهم. 4-علم الأصوات اللغوية. 5-لهجات العرب، واختلافها.

6-بنية الكلمة العربية(الصرف) 7-الجملة، أو التركيب (النحو) 8-دلالة الألفاظ،أو معانيها. 9-تطور دلالة الألفاظ.

10-الاشتقاق بأنواعه. 11-المشترك والمترادف والمتضاد والنحت. 12-التعريب وضوابطه. 13- المعاجم العربية، ومدارسها.

14-مسألة تنقية اللغة. 15-ما تواجهه العربية من عقبات ومشكلات، وما يحاك ضدها من مؤامرات.

16-مواكبة العربية للجديد، واستيعابها للمصطلحات الجديدة كالمصطلحات الطبية، والصناعية وغيرها.

17-جهود العلماء في هذا الباب في القديم والحديث. 18-قضايا الدعوة إلى العامية، وترك الإعراب، وإصلاح الخط العربي.

19-العناية بالدراسات التي تقوم بها المجامع اللغوية، وما يتمخض عنها من نتائج وقرارات.

هذه على سبيل الإيجاز موضوعات فقه اللغة، مع ملاحظة أن كثيراً من تلك الموضوعات داخل في بعض.

رابعا. الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة:

أ- تعريف علم اللغة

هناك مصطلح آخر يرد في بعض المؤلفات الحديثة مقابلاً لمصطلح فقه اللغة ألا وهو علم اللغة، ويعرَّف بأنه العلم الذي يدرس اللغةَ في ذاتها ومن أجلِ ذاتها. أو هو العلم الذي يتخذ اللغة موضوعاً له(1) بمعنى أنه العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية قائمة على الضبط، والتنظيم وفق مناهج وأسس وقواعد علمية موثَّقة ومعروفة ومعتدٌ بها. ويدرس كل لغات المجتمعات الإنسانية، ولهجاتها المختلفة مهما كانت غنية، أو فقيرة،أو راقية، أو وضيعة. فيهتم علم اللغة في دراسته للغة من ناحية مستوياتها المختلفة مثل أصواتها Phonetics وصرفها Morphology ونحوها Syntax، ودلالتها Semantics، وأساليبهاStyle. وكيفية استخدام الناس لها وعلاقتها بغيرها وتطورها،

وأثر المجتمع عليها وأثرها عليه، واختلاف لهجاتها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وغيره من جوانب كثيرة ومتعددة. ويتم كل ذلك وفقاً لمنهج من مناهج الدرس اللغوي المعتمدة الموثَّقة القائمة على الضبط والتنظيم.

إذن علم اللغة هو العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعاً له، فيدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقاتها بالنظم المختلفة بهدف الوصول إلى القوانين العامة التي تجري عليها اللغة موضوع الدراسة. وبناء على ذلك فعلم اللغة لا يختص بلغة بعينها، بقدر ما يتخذ من اللغة الإنسانية المطلقة موضوعاً له ؛ أيُّ لغة مهما كان فقرها أو غناها، وسموها أو ضعتها.

ب ــ الفروق الجوهرية بين علم اللغة وفيه اللغة:

بعض المؤلفين المُحدَثين يفرق بين المصطلحين، وبعضهم يجعلهما شيئاً واحداً؛ باعتبار أن العلم والفقه شيء واحد، كما هو عند صبحي صالح ومحمد المبارك، والحقيقة أن هذا الخلاف طارئ على العربية؛ إذ الكلمتان من الناحية اللغوية معناهما واحد، وقد وردا في تراثنا العربي كذلك؛ فلابن فارس كتاب: (**الصاحبي في فقه اللغة**) وللسيوطي كتاب: (**المزهر في علوم اللغة**). و لم يقصد السيوطي مخالفة ابن فارس، بل كانا يرميان إلى أهداف متقاربة: من خدمة العربية، وبيان خصائصها والوقوف على سنن العرب في كلامهم، والحديث عن القضايا اللغوية العامة. فإذا اسْتُخْدِمَ مصطلح فقه اللغة باعتباره شاملاً لدراسة اللغة بعامة فهو الأنسب؛ لأنه مستخدم في عربيتنا، وارد في تراثنا. وإذا استُخدم اصطلاح (علم اللغة) فإنما يعنى به المرادف لفقه اللغة؛ بناءاً على المعنى اللغوي.

ولقد حصل خلط بين المصطلحين السابقين بسبب ترجمة بعض المصطلحات الغربية ومحاولة تطبيقها على لغتنا؛ فالغربيون يفرقون بين علمين يتناولان اللغة، أحدهما: يُعنى بدراسة النصوص اللغوية القديمة، واللغات البائدة، ويهتم بالتراث، والتاريخ، والنتاج الأدبي واللغوي، وقد ترجم هذا باسم (فيلولوجيا/Philology).

والثاني: يُعنى بدراسة اللغة في ذاتها: وصفاً وتاريخاً، ومقارنة، ودراسة للهجات والأصوات مستعيناً بوسائل علمية، وآلات حديثة(**علم اللغة**/Linguistics).

ولو رجعنا الآن إلى التمييز بين فقه اللغة وعلم اللغة يمكن أن نذكر أن الفرق الرئيس يتجلى فيما يلي:

1- يعتمد علم اللغة المنهج الوصفي الآني للنصوص اللغوية، بينما يعتمد فقه اللغة المنهج التاريخي التطوري المقارن

2- تنصب الدراسة في علم اللغة على النصوص الحية وخاصة الشفوية منها، في حين نجدها تهتم في فقه اللغة بالنصوص المكتوبة والقديمة بشكل خاص بالإضافة إلى المخطوطات والنقوش.

3- يهدف علم اللغة إلى دراسة النظام اللغوي في البنية اللغوية. بينما يهدف فقه اللغة بالإضافة إلى دراسة اللغة بحد ذاتها إلى الوصول إلى معلومات تتعلق بالتاريخ والثقافة، والعادات والتقاليد وغير ذلك مما يمكن استنباطه من النص اللغوي، وهنا تتخذ اللغة باعتبارها وسيلة، بينما هي حسب منهج علم اللغة غاية بحد ذاتها.

4 - يهتم فقه اللغة بدراسة اللغة في جوانبها الخارجية أي منطلقها الذي انطلقت منه وطبيعة الشعوب التي تتكلم بها وتاريخ تداولها ونشأتها، أما علم اللغة فيدرس الظاهرة اللغوية دراسة موضوعية في ذاتها ولذاتها.

5 - فقه اللغة سبق من الناحية الزمنية علم اللغة الذي جاء لتوضيح التركيز اللغوي دون غيره.

المحاضرة الثالثة:أهم نظريات (فرضيات) نشأة اللغة الإنسانية.

اختلف الباحثون قديما وحديثا في موضوع نشأة اللغة الإنسانية، بين معارضين، باعتباره موضوعا ظني لا يمكن التحقق من صحة وقائعه، وبين مؤيدين للبحوث اللغوية التراثية التي تصب في صميم الدراسات اللغوية وما يتعلق بها. وعندما ظهرت الدراسات اللسانية الحديثة (المدارس اللسانية) كان هناك انفصال بين علمين توأمين هما فقه اللغة وعلم اللغة، وصار من السهل إخراج الأبحاث والدراسات التي تدخل تحت كل منهما، ومن تلك الأبحاث موضوع نشأة اللغة، الذي ينتمي إلى فقه اللغة حسب المفاهيم والآراء الحديثة لهذا العلم.

وليس في أدلة أيٍّ من تلك النظريات ما تطمئن إليه النفوس، ويحل منها محل القطع، أو الظن القريب منه.ومن هنا صحح المحققون إدخال هذه المسألة في علم الأصول من الفضول؛ ولهذا انصرف الباحثون مؤخراً عن الخوض في هذا الموضوع، وقررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائياً، أو قبول أي بحث فيه لعرضه في جلسته[1].

ومع صعوبة ــ أو تعذر ــ الوصول إلى رأي يرضى به الباحثون، ولا يجدون فيه نقصاً ولا عليه اعتراضاً ــ إلا أنه لا بد من الإشارة إلى تلك النظريات التي سيقت حول تفسير نشأة الكلام الإنساني، وذلك لأسباب عديدة منها:

1-معرفة عناية العلماء في هذا البحث.

2-أن هذه القضية شغلت حيزاً من التفكير، ونالت قدراً من وافراً من الجهد.

3-بيان أن علماء المسلمين قد شاركوا في هذا الموضوع، وعرضوا آراءاً لا تقل جدية واستدلالاً عما قدَّمه غيرهم قديماً وحديثاً، بل ربما فاقوا غيرهم، وسبقوه.

وقد تعدّدت الآراء والفرضيات التي تفسر نشأة اللغة، من اعتماد المعقول والمنقول، أهماه ما يلي:

1ــنظرية المحاكاة (التقليد):

تذهب إلى أن أصل اللغة محاكاة أصوات الطبيعة، كأصوات الحيوانات وأصوات مظاهر الطبيعة والتي تحدثها الأفعال عند وقوعها، ثم تطورت الألفاظ الدالة على المحاكاة، وارتقت بفعل ارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة.

ومن القائلين بهذه النظرية "**ويتني**" في القرن التاسع عشر، وابن جني قديما، والذي عرّفها وذكر أنه نقله عمن سبقه، مما يدلّ أنه كان مذهبا شائعا ومقررا ؛ حيث يقول: "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو الأصوات المسموعات ؛ كدويّ البحر وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل"[2].

وقد كان ابن جني معجبا بهذه النظرية ؛ حيث أفرد لها بابا في كتاب الخصائص سماه (**باب في أمساس الألفاظ أشباه المعاني**) قال فيه:"ولو لم يتنبه على ذلك إلاّ بما جاء عنهم من تسميتهم الأشياء بأصواتها، كالخازبار

1ــ علم اللغة، حاتم الضامن ، ص:95.

2ــابن جني، الخصائص،ج: 1ص: 98ــ99.

لصوته، والبط لصوته ونحو ذلك قولهم حاحيت، وعاعيت، وهاهيت، إذا قلت حاء، عاء هاء، وقولهم: بسملت، هللت، حوقلت. كل ذلك وأشباهه إنما يرجع اشتقاقه إلى الأصوات والأمر أوسع".

وإلى هذه النظرية يميل كثير من الباحثين المعاصرين، ومن أدلتهم ما يلي:

1- أنها تساير طبيعة الأشياء التي تبدو بسيطة ثم تنمو وتتطور؛ فاللغة من منطلق هذه النظرية بدأت تقليداً لأصوات الطبيعة، وقد يكون المتكلمون استخدموا، مع ذلك، التعبيرات والإشارات، ثم استُغني عن ذلك فيما بعد.

2-أن المراحل التي تقررها اللغة الإنسانية، تتفق في كثير من وجوهها، مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل؛ فقد ثبت أن الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام، يلجأ في تعبيره الإرادي إلى محاكاة أصوات الطبيعة، فيحاكي الصوت قاصدا التعبير عن مصدره، أو عن أمر يتصل به . وثبت كذلك أنه في هذه المرحلة ، وفي بدء مرحلة الكلام، يعتمد في توضيح تعبيره الصوتي على الإشارات اليدوية والجسمية.

3-أن كثيراً من الأمم البدائية يستخدمون الإشارات اليدوية، والجسمية للمساعدة في التعبير.

وقد وُجِّه إلى هذه النظرية انتقادات كثيرة واعتراضات نذكر منها:جهة تعجز عن تفسير مبدأ كيفية (حكاية الأصوات) في آلاف الكلمات التي لا نرى الآن أية علاقة بين معناها وصوتها. فما العلاقة بين لفظ أسد ومعناه؟

ولقد وجهت نقودٌ واعتراضات على هذه النظرية، ومن ذلك:

1ــ أنها تنزل بالإنسان إلى ما هو أقل منه؛ فليس من المعقول أن يقلّد الإنسان صوت الحيوان والأصوات المسموعة الأخرى.

2ــ أن اللغات الراهنة لا تشتمل إلا على قدر ضئيل من الكلمات التي تتضح فيها الصلة بين اللفظ والمعنى، فهي تعجز عن تفسير مبدأ كيفية (حكاية الأصوات) في آلاف الكلمات التي لا نرى الآن أية علاقة بين معناها وصوتها؛ فما العلاقة بين لفظ أسد ومعناه؟

3ــ أن كثيراً من الأمم البدائية يتكلمون بلغات لا يظهر فيها أثر المحاكاة والتقليد للطبيعة.

2 ــ نظرية الاتفاق والتواضع والاصطلاح (المواضعة):

تقرر هذه النظرية أن اللغة ابتُدعت واستُحدثت بالتواضع، والاتفاق وارتجلت ألفاظها ارتجالا ؛ كأن يشير جماعة من الناس إلى شجرة ويقولون (شجرة). قال ابن تيمية مصوراً هذه النظرية:"أن قوماً اجتمعوا، واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا، وهذا بكذا، ويجعل هذا عاماً في جميع اللغات". وقد صوّر ابن جني هذه النظرية بقوله:"وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً؛ فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمةً ولفظاً إذا ذكر عُرِف به ما مسماه؛ ليمتاز عن غيره، وليُغْنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين"[1].

وبعد أن وضَّح ذلك ذكر أن التواضع يمكن أن ينقل إلى لغة أخرى، وجعل ما يشاهد من اختراع الصُنَّاع لآلات صنائعهم من الأسماء؛ كالنجار، والصائغ، والحائك دليلاً على هذا الرأي.

ومال كثير من العلماء والمفكرين إلى هذه النظرية، منهم: الفيلسوف اليوناني ديموكريط وأرسطو والمعتزلة. وقال بها من المحدثين أيضا: آدم سميث الانجليزي.

1ــابن جني، الخصائص،ج: 1، 96ــ97.

وليس لهذه النظرية أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي ، بل أن ما تقرره هذه النظرية يتعارض مع القوانين العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية، وعهدنا بهذه النظم، أنها لا تخلق خلقا، لذلك اعتُرض على هذه النظرية باعتراضات منها:

1_ أن التواضع يحتاج إلى لغة سابقة يُتفاهم بها. فبأي لغة تواصل هؤلاء؟

2_ أنه لا يكون حكماء يتواضعون بدون لغة، فهذه النظرية، إذاً، لا تحل المشكلة، ولا تخلو من المآخذ.

3_ أن هذا القول مجرد دعوى تفتقر إلى دليل؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"فلا يمكن لأحد أن ينقل عن العرب، بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا هذه الأسماء الموجودة في اللغة، ثم استعملوها بعد الوضع...".

3ـــ نظرية التوقيف (الإلهام والوحي):

تذهب هذه النظرية إلى أن الله أوحى إلى الإنسان الأول وأوقفه على أسماء الأشياء بعد أن علمه النطق.

وقد ذهب إلى هذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني هيرا لكيت (ت:480 ق.م) ، وفي العصور الحديثة طائفة من العلماء على رأسها لامي والفيلسوف دونالد. ومن علماء المسلمين في العصور الوسطى:أبو عثمان الجاحظ (ت255هـــ) وأبو الحسن الأشعري (ت324هـــ) وأحمد بن فارس(ت395هـــ) الذي يرى أن لغة العرب توقيفية. ويبدو من قول ابن فارس أن اللغة العربية هي لغة آدم عليه السلام، لأنه ذكر أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم،عليه السلام، قبل موته ب300سنة.

وقد ذكر السيوطي عن ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس، أن آدم (عليه السلام) كانت لغته في الجنة العربية. قال عبد الملك بن حبيب :" كان اللسان الأول الذي نزل به آ دم من الجنة عربيا إلاّ أنه بعُد العهد وطال صار سريانيا، وكان يشاكل اللسان العربي إلا أنه محرف.... وبقي اللسان في ولد أرفشذ بن سام إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته وكان باليمن، فنزل بنو إسماعيل، فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي".

ويرى علماء العبرانية وتابعهم كثير من مشاهير علماء النصرانية وغيرهم: أن اللغة العبرانية هي اللغة التي فتق الله بها لسان آدم،عليه السلام، في ولده شيث حتى انتهت إلى إبراهيم عن طريق عابر بن سام ويستدلون على ذلك بعدد من الأسماء الواردة في حديث الخلق وما بعده إلى الطوفان مثل آدم وعدن و فيشون وجيحون وغيرها أسماء عبرانية .

ويعتمد علماء الغرب المؤيدون لهذه النظرية على ما ورد في العهد القديم من الإنجيل:"والله خلق من طين جميع حيوانات الحقول، وجميع طيور السماء، ثم دعا آدم ليرى كيف يسميها. وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة، ولطيور السماء ودواب الحقول(أو ذوات العقول)".

وهذا النص لا يدل على شيء مما يقوله أصحاب هذه النظرية بل يكاد يكون دليلا على عكس النظرية ، ويرى الدكتور توفيق شاهين الجاحظ ارتضى هذه النظرية حيث قرّر أن الله سبحانه وتعالى أنطق نبيه إسماعيل بالعربية دون سابق تمهيد أو تعليم وأنه تعالى فطره على الفصاحة على غير النشوء والتمرين.

ويضيف القائلون بالتوقيف إلى ذلك ثلاثة وجوه:

1ـــ أنه سبحانه وتعالى ذم قوما في إطلاقهم أسماء غير توقيفية في قوله تعالى :(**إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ...**)النجم:23 وذلك يقتضي كون البواقي توقيفية.

2ــ قوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ).الروم:22 وعضلة اللسان غير مرادة لعدم اختلافها. ولأن بدائع الصنع في غيرها أكثر. فالمراد إذن اللغات.

3ــ وهو عقلي: فلو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة، يعود إليه الكلام، ويلزم إما الدور أو التسلسل في الأوضاع وهو محال فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف

وبناء على كلام أهل التوقيف، لا يجوز قلب اللغة مطلقا ؛ فلا يجوز تسمية الثوب فرسا مثلا، وقدم ابن جني تفسيرا آخر؛ هو أن الله تبارك وتعالى: علّم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والسريانية والفارسية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات . فكان هو وولده يتكلمون بها ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا وعَلِق كل منهم بلغة من تلك اللغات، فغلبت عليه واضمحل عنه ما سواها عهدهم بها

ويلحظ أن هذه النظرية تعتمد على النصوص النقلية، كما أنها لا تخلو من اعتراضات، ومنها:

1ـ أن نص التوراة يضعف دليلهم، وأنه حجة عليهم لا لهم؛ لأن فيه إشعاراً بأن آدم عليه السلام هو الذي وضع الأسماء.

2ـ أن الآية التي احتج بها علماء المسلمين ليست دليلاً قاطعاً؛ فقد اختلف المفسرون في المراد بالأسماء. وابن فارس نفسُه ساق بعض أقوالهم .

3ـ أنه لو كانت اللغة توقيفية لما جاز لنا أن نُدخل فيها شيئاً، ألا ترى إلى لغتنا العربية اليوم ونحن ندخل فيها من مصطلحات العلوم والفنون الشيء الكثير؟ وأننا ننقل دلالات بعض الألفاظ كالسيارة، والدراجة وغيرها؟ كذلك إن حدوث الترادف والاشتراك والتضاد في اللغة لدليل على أن اللغة ليست كلها توقيفاً من الله تعالى.

وبهذا وغيره يتبين أن الأدلة المُساقة لا تنهض بهذه النظرية، ولا تقوى على الوقوف في وجه الاعتراضات.

وهذه النظريات هي أشهر النظريات، وهناك نظريات أخرى نكتفي بذكرها دون تفصيل ومنها:

1ــ نظرية الغريزة الكلامية: وهي إحدى النظريات الحديثة، وترى أن الإنسان مزود بغريزة خاصة تحمل كل إنسان على التعبير عن كل مُدْرَكٍ حسيٍّ، أو معنوي بكلمة خاصة

2ــ نظرية الأصوات التعجبية العاطفية: نظرية pooh _ pooh

3ــ نظرية الاستجابة الصوتية للحركة العضلية: نظرية yo _he –ho

4ــ نظرية جسبرسن الذي طالب بدراسة وافية للغة الطفل، ولغات القبائل البدائية، ودراسة تاريخية للتطور اللغوي. كل ذلك من أجل التوصل إلى معرفة كيفية نشأة اللغة الإنسانية الأولى وفق منهج علمي.

5ــ نظرية فندريس؛ الذي يرى أن اللغة كانت لدى الإنسان الأولى انفعالية محضة.

6ــ نظرية النشوء والتناسل ؛ وترى هذه النظرية أن اللغة نشأت بالطفرة وبشكل تلقائي، فتفترض أن اللغة نشأت متكاملة في لحظة معينة ثم أعقبها التوالد والتكاثر .

يمكن الاستنتاج أنه لا توجد نظرية واحدة يمكن أن تفسر نشأة اللغة الإنسانية، وأن ثلاث نظريات متكاملة يمكن أن تفسر ذلك. فالله سبحانه وتعالى أهَّل الإنسان وأعطاه القدرات الخاصة، فألهمه لكي ينطق وينشئ اللغة ، بهذه القدرة استطاع الإنسان الأول أن يضع كلماته وجمله الأولى، بالإصغاء والملاحظة والتقليد، لما يوجد حوله في الكون. ولما تقدّم، وارتقى في التفكير، بدأ بوضع كلمات جديدة بالتواطؤ والاصطلاح الذي ما زال مستمرا إلى يومنا هذا، وإلى قيام الساعة.